العقيدة الواسطية

تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية

(رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيدا ، أما بعد:

أصول الاعتقاد عند الطائفة المنصورة

فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره.

الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه

*** ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سميّ له، ولا كُفُوَ له، ولا نِدَّ له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه.**

*** ثم رسله صادقون مصدوقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال: {سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين} فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.**

*** وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمىً به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون. فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.**

*** وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول: {قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد * ولم يولد * يكن له كفواً أحد} وما وصف به نفسه في أعظم**

آية في كتابه، حيث يقول: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما – أي لا يَكْرِثه ولا يُثْقِلُه – وهو العلي العظيم} ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

* وقوله سبحانه: {هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم} وقوله سبحانه: {وتوكل على الحي الذي لا يموت} وقوله: {وهو العليم الحكيم} ، {وهو الحكيم الخبير} ، {يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها} ، {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين} وقوله: {وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه} وقوله: {لتعلموا أنَّ الله على كل شيء قدير وأنَّ الله قد أحاط بكل شيء علماً} وقوله: {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} وقوله: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} وقوله: {إن الله نِعمَّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً} وقوله: {ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله} ، {ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد} وقوله: {أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يُتلى عليكم غير محلىِّ الصيدِ وأنتم حُرُم إن الله يحكم ما يريد} وقوله: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء} وقوله: {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين} ، {وأقسطوا إن الله يحب المقسطين} ، {فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين} ، {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين} وقوله: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} وقوله: {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه} وقوله: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص} وقوله: {وهو الغفور الودود} وقوله: {بسم الله الرحمن الرحيم} ، {ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما} ، {وكان بالمؤمنين رحيما} ، {ورحمتي وسعت كل شيء} ، {كتب ربكم على نفسه الرحمة} ، {وهو الغفور الرحيم} ، {فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين} وقوله: {رضي الله عنهم ورضوا عنه} وقوله: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه} وقوله: {ذلك بأنهم اتَّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه} وقوله: {فلما آسفونا انتقمنا منهم} وقوله: {ولكن كرهَ الله انبعاثهم فثبطهم} وقوله: {كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} وقوله: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر} وقوله: {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك} ، {كلا إذا دُكَّت الأرض دكاً دكا وجاء ربك والملك صفاً صفا} ، {ويوم تَشَقَّقُ السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا} وقوله: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} ، {كل شيء هالك إلا وجهه} وقوله: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي} ، {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء} وقوله: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} ، {وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر} ، {وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني} وقوله: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير} وقوله: {لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء} ، {أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون} وقوله: {إنني معكما أسمع وأرى} وقوله: {ألم يعلم بأن الله يرى} ، {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم} ، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون} وقوله: {وهو شديد المحال} وقوله: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين} وقوله: {ومكروا مكراً ومكرنا مكراً

وهم لا يشعرون} وقوله: {إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً} وقوله: {إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديرا} ، {وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم} وقوله: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} وقوله عن إبليس: {فبعزتك لأغوينهم أجمعين} وقوله: {تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام} وقوله: {فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سميا} ، {ولم يكن له كفواً أحد} ، {فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون} ، {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله} ، {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا} ، {يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير} ، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً} ، {ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون} ، {فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون} {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} .

* وقوله: {الرحمن على العرش استوى} في سبعة مواضع: في سورة الأعراف قوله: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش} وقال في سورة يونس عليه السلام: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش} وقال في سورة الرعد: {الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش} وقال في سورة طه: {الرحمن على العرش استوى} وقال في سورة الفرقان: {ثم استوى على العرش الرحمن} وقال في سورة ألم السجدة: {الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش} وقال في سورة الحديد: {هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش} .

* وقوله: {يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي} ، {بل رفعه الله إليه} ، {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} ، {يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا} ، {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير} وقوله: {هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير} ، {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم} .

وقوله: {لا تحزن إن الله معنا} ، {إنني معكما أسمع وأرى} ، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} ، {واصبروا إن الله مع الصابرين} ، {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين} .

* وقوله: {وَمَنْ أصدق من الله حديثا} ، {ومن أصدق من الله قيلا} ، {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم} ، {وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلا} ، {وكلم الله موسى تكليما} ، {منهم من كلم الله} ، {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمه ربه} ، {وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا} ، {وإذ نادى ربك موسى أن ائت

القوم الظالمين} ، {وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة} ، {ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين} ، {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} ، {وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون} ، {يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل} ، {واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته} ، {إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون} ، {وهذا كتاب أنزلناه مبارك} ، {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله} ، {وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون} ، {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} .

* وقوله: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ، {على الأرائك ينظرون} ، {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} ، {لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد} .

وهذا الباب في كتاب الله كثير، من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق.

الإيمان بما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه

* ثم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه ، وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها .

* فمن ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟) متفق عليه.

* وقوله صلى الله عليه وسلم: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته) الحديث متفق عليه.

* وقوله صلى الله عليه وسلم: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة) متفق عليه.

* وقوله: (عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ، ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرَجكم قريب) حديث حسن.

* وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال جهنم يلقى فيها ، وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله) وفي رواية: (عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض فتقول قط قط) متفق عليه.

* وقوله: (يقول تعالى: يا آدم ، فيقول: لبيك وسعديك ، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) متفق عليه.

* وقوله: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان).

وقوله في رقية المريض: (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ)، حديث حسن رواه أبو داود وغيره.

* وقوله: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء) حديث صحيح.

* وقوله: (والعرش فوق الماء والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه) حديث حسن رواة أبو داود وغيره.

* وقوله للجارية: (أين الله ؟) قالت: (في السماء) قال: (من أنا؟) قالت: (أنت رسول الله) قال: (أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم.

* وقوله: (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت) حديث حسن.

* وقوله: (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه فإن الله قبل وجهه ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه) متفق عليه.

* وقوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم رب السماوات السبع والأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء خالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر) رواة مسلم.

* وقوله لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر: (أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) متفق عليه.

* وقوله: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا) متفق عليه.

* إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به ، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة ، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم ، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج.

الطائفة المنصورة تؤمن بأن ربها فوق عرشه

*** وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه على خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله: {هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير}.**

*** وليس معنى قوله: {وهو معكم} أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم ، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.**

*** وكل هذا الكلام الذي ذكره الله – من أنه فوق العرش وأنه معنا – حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ، مثل أن يظن أن ظاهر قوله: " في السماء " أن السماء تقله أو تظله ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ، فإن الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض ، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره.**

الطائفة المنصورة تؤمن بأن ربها قريب مجيب

*** وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب ، كما جمع بين ذلك في قوله: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب . . . الآية} وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته).**

وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه.

الطائفة المنصورة تؤمن بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

*** ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره.**

*** ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً.**

وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

الإيمان برؤية المؤمنين لربهم

* وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله الإيمان ، بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس بها سحاب ، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى .

الإيمان بما يكون بعد الموت وفتنة القبر والحشر والقيامة والحساب

* ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، فيؤمن بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه.

* فأما الفتنة: فإن الناس يمتحنون في قبورهم فيقال للرجل: (ما ربك وما دينك ومن نبيك ؟) فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيقول المؤمن: (ربي الله ، والإسلام ديني ، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي).

* وأما المرتاب فيقول: (هاه هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته) فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة سمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق.

* ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب ، إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد ، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا ، وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق ، فتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}.

* وتنشر الدواوين – وهي صحائف الأعمال – فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، كما قال سبحانه وتعالى: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} ويحاسب الله الخلائق ، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة ، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته – فإنه لا حسنات لهم – ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويُقَرَّون بها.

* وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، وطوله شهر وعرضه شهر ، من يشرب منه شربة لا يضمأ بعدها أبدا.

* والصراط منصوب على متن جهنم – وهو الجسر الذي بين الجنة والنار – يمر الناس على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس

الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يَعْدو عدْواً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم . فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة . . . فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض ، فإذا هُذِّبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

* وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته.

وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات:

* أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء – آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم – من الشفاعة حتى تنتهي إليه.

* وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة – وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

* وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار – وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم – فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

* ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته ، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشيء الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة.

* وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء ، وفي العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذاك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده.

الإيمان بالقدر

* وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره ، والإيمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين:

* فالدرجة الأولى: الإيمان بأنّ الله تعالى عليم بما الخلق عاملون ، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ما خلق الله القلم ، قال له: (اكتب) قال: (ما أكتب؟) قال: (اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف ، كما قال تعالى: {ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير} وقال: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير} وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا ، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: (اكتب رزقه

وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك) ، فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليـوم قليل.

* وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لـم يشأ لم يكن ، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون في ملكه ما لا يريد ، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلـوق فـي الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.

* ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصـيته، وهـو سـبحانه يحـب المتقـين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لا يحب الكافرين ، ولا يرضـى عـن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

العباد فاعلون والله خالق أفعالهم

* والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم ، وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال الله تعالى: {لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامـة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتـى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

* ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسـان ، وعمـل القلـب واللسان والجوارح.

* وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلـة بمطلـق المعاصـي والكبائر – كما يفعله الخوارج – بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كمـا قـال سـبحانه فـي آيـة القصاص: {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} وقال: {وإن طائفتـان مـن المـؤمنين اقتتلـوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلـى أمـر الله فـإن فـاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم}.

* ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار – كما تقوله المعتزلـة – بـل الفاسـق يدخل في اسم الإيمان المطلق ، كما في قوله: {فتحرير رقبة مؤمنه} وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق ، كما في قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانـا} وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفـع النـاس إليـه فيهـا

أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم.

نحب الصحابة ونتبرأ من طريقة الرافضة والنواصب

* ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه).

* ويقولون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح – وهو صلح الحديبية – وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر – وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر–: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه – وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

* ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالعشرة ، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

* ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره ، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم ، كما دلت عليه الآثار ، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة ، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما – بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر – أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا وربّعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا ، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي ، وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.

* ويحبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال يوم غدير خم: (أذكركم الله في أهل بيتي) وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي) وقال: (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم).

* ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة ، خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده أول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية ، والصِّدّيقة بنت الصدّيق رضي الله عنها ، التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

* ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ، ويمسكون عما شجر من الصحابة ، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

* وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم خير القرون وأن المُدَّ مِن أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كُفِّرَ به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور ، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

كرامات الأولياء

ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء (١) ، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات ، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة ، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

الدين اتباع وليس ابتداع

* ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة) ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى

الله عليه وسلم ، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد ، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة ، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ، وإن كان " لفظ " الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين.

* والإجماع هو الأصل الثالث (٢)، الذي يعتمد عليه في العلم والدين ، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين ، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح ، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

الخاتمة

* ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة ، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجارا ، ويحافظون على الجماعات ، ويدينون بالنصيحة للأمة ، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا) وشبك بين أصابعه ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ويأمرون بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمُرِّ القضاء ، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا) ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، ويأمرون ببر الوالدين، وصله الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل ، والرفق بالمملوك ، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق – بحق أو بغير حق – ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها.

* وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة ، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ، لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة ، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال (٣)، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم . . . وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة) فنسأل الله أن يجعلنا منهم وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه الوهاب ، والله أعلم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً..

هوامش:

(١) راجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان للمؤلف.

(٢) بعد الكتاب والسنة.

(٣) الأبدال: هم الذين يجددون الدين ، وليس مراده بالأبدال ما يظنه عباد القبور وغلاة الصوفية.